♦ هل **الله** موجود؟ ♦

نعم، لأنه...

« لاشيء يأتي من لا شيء »

تأليف: هيقو مقورد

هل للمطر أب؟
ومن ولد مآجل الطل؟
من بطن من خرج الجمد؟
صقيع السماء، من ولده؟ (أيوب ٣٨: ٢٨ و٢٩).

أقوى الأسباب التي توصي بوجود الله هي الحقيقة أن لكل فعل مسبب، وهذا يرجع بنا منطقيا إلى وجود سبب بدون مسبب.

ذكر الحقائق

وضع الفيلسوف اليوناني افلاطون ثلاثة أسباب للإيمان بالآلهة أولها هو وجود الأرض والشمس والنجوم والكون. قال أن الآلهة « خلقت الشمس والقمر والنجوم. كما لحن جوزيف اديسون موسيقيى المزمور ١٩، يمكنه سماع جميع الأجرام السماوية ترنم « بصوت وقور وجليل »:

نرنم دوما كلما أظهروا بريقهم.
لأن اليد التي خلقتنا يد مقدسة.

مما خلق القمر؟ جمع رائدا الفضاء الأميركيان نيل آرمسترونج وأدوين ألدرين في الثاني من يوليو عام ١٩٦٩ ما مقداره (٤٨,٥) رطلا من تربة سطح القمر المتكونة من (١) بلورات صخرية بركانية ناعمة. (٢) بلورات صخرية بركانية متوسطة الحجم. (٣) شظايا صخور ملتصقة ببعضها و (٤) مواد صغيرة أخرى. وقد أظهرت نتائج تحليل هذه العينات عن وجود ست عشرة عنصر من عناصر مكونات الأرض، والعناصر الأساسية هي التيتانيوم والسليكون والالمنيوم والحديد والمغنسيوم والكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم. يتكون القمر من عناصر حقيقية لا تختلف كثيرا عن عناصر أرضنا. المنطق يقول بانه « لا تستحدث مادة بدون مسبب ». أو بالأحرى لا يأتي شيء من لا شيء.

الناس العقلاء، وصلابة الصخور وصلابة الصخور التي هبط عليها رواد الفضاءمنطقة في بحر السكون تعني أنها حقيقة وتتطلب الحقيقة سبب. لو أن تربة القمر مكونة من مواد حقيقية، ربما كما في الأرض الصلبة ويمكن أن تنقل هذه المواد الى الأرض. يجب أن يفترض أن هناك خالق لمواد القمر. الشواهد التي يمكن الحصول عليها من رواد الفضاء لا يمكن أن تشهد على الكيفية التي جاء بها خالق القمر إلى الوجود. ما لم يفترض الشخص عن وجود عدد غير محدد من الصناع، يجب أن يقول الشخص أنه في مكان ما يوجد خالق لم يخلق. السبب لذلك يطالب بخالق غير مخلوق.

إذا كان الخالق غير مخلوق، فلا بد أن يكون موجود أزلياً. ولو أنه لم يكن خالقاً، فهذا يجب أن يعني انه مستقلا، وشخصي. يبدو من هنا أن مجرد وجود القمر يعتبر شهادة عن وجود خالق مستقل وسرمدي.

العديد من النا س يتخذون من مثل القمر كجزء من شيء طبيعي. أنهم يقولون أنه مثل أي بيت تم بناءه من قبل بناء ما، لذا فأن باني الكل هو الله (لاحظ عبرانيين ٣: ٤). ليس على الشخص أن يرى البناء ليعرف أنه موجود. لأن عمل يدية يجعل وجوده معروفا. خليقة العالم، بيت الطبيعة يتمم أدراكه « بما تم عمله » يترك غير المؤمنين بدون دفاع وبلا عذر (لاحظ رومية ١: ١٩ و ٢٠).

ان وجود القمر وحده لا يعتبر مؤشراً على

وجود خالقاً فقط، بل ان حركته في الفضاء هي مؤشرا يدل على وجود من يحركه. ما لم يجادل شخصا ما عن عدد لا محدود من المحركين، عندئذ هناك محرك واحد لا يحتاج إلى مساعد ليبدأ الحركة. المحرك هو ذاتي في قدرته على تحريك الأشياء. وأكثر من ذلك مالم تنمو قوته من لا شيء ليبدأ بالحركة، لذا فهو محرك أبدي. وعلى هذا الأساس لا يمكننا أن نجزم منطقيا عدد المحركين الأبديين، ولكنه يؤشر إلى واحد على الأقل. أكثر من ذلك الوحدة الظاهرة في الكون توضح أن هناك واحد فقط. «يرفض العالم أن يحكم بطريقة سيئة: اسي هو حكم العديد، حاكم واحدئسمح.»

نكران الحقائق

ليس مهما كم هي مقنعة الحقيقة القديمة التي تقول «لا شيء يأتي من العدم» – والتي تقود إلى خلق الأرض والأنسان – بعض المثقفون يفضلون القول بان لا شيء خلق الناس والأرض. الأستاذ فريد هويل الفيزيائي والمدرس في كلية القديس جون في كمبرج جزم أن أصل الطبيعة الأم (غاز الهيدر روجين) لم يكن شيئا يسميه الظرورة الأبدية. وهناك فيلسوف آخر يدعى شوبنهور (١٧٨٨–١٨٦٠) تحدث عن «النوايا المخفية» لخالق خالد للكون، وهنري بركسن (١٨٥٩–١٩٤١) تحدث عن التطور الخلاق بطريقة «العقل اللا واعي» والقول الأخير يتعارض كما لو انه «الوعي اللا عقلاني.» استعماله يظهر الحد الذي وصل إليه الناس عندما يرفضون الله في تفكيرهم.

الفيلسوف الأسكتلندي ديفد هيوم (١٧١١–٧٦) بذل جهداً ليتقوى من البديهية التي تقول ان «لا شيء يأتي من العدم» وكملحد كان هيوم حذرا بكل حلم من قوة البديهية. كانت تنخسه، لأنها تبين أن الكون له مسبب. وشجبها على إنها (قاعدة لفلسفة شيطانية قديمة) وقد أكد ذلك بمثل هذ السبب، «أي شيء ربما يبدو قادراً على إنتاج أي شيء» – أي شيء «هذا ما يمكن أن يعينه التصور كثير النزوات». على أي حال وبعد مرور الوقت أصبح هيوم أكثر تعقلا، حين قال: «لهذا فان كل العلوم تقريبا تقودنا بطريقة غير مدركة للأعتراف بأول خالق مدرك.»

كتب الأستاذ جيمس بتي من كلية مارشال في أبردين عام ١٧٧٠، تفنيدا لمنطق هيوم: «نحن نردد هذه البديهة [مهما بدأ في الوجود بدأ من سبب ما] وهي أحدى المبادىء للمنطق المعقول، والتي يجب أن يعترف بها كل عقل سليم التفكير على إنها حقيقة، ليس لانها يمكن إثباتها، ولكن بسبب أن قانون الطبيعة يقرر لنا أن نعترف بها بدون إثبات، النظر إليها بطريقة معكوسة تكون منافية للعقل تماما، غير ممكنة وغير محتملة.» وحتى مع هذه المحاولات القوية من قبل الباحثين عن الأخطاء، يبدو واضحا أن البيت إن كان صغيرا هو من صنع البشر وكذلك بيت الطبيعة الكبير جدا فإنه لديه البناء.

أن ديفيد هيوم معروفا أيضا لتميزه بين ما يمكن أن يفعله المنطق المجرد وبين ما تمثله الخبرة. عندما تضرب الكرة كرة أخرى. تتحرك الكرة الثانية. أكد هيوم ذلك لو أن آدم لم يرى مثل ذلك الشيء يحصل، لايمكنه، بالسبب فقط أن يؤكد أن السببية هي التفسير الوحيد. قررهيوم أن يبين الكذب في هذه المقولة أن كل ما بدأ في الوجود جاء بسبب ما.

قال هيوم: «يمكن للعقل دائما حمل أي تأثير ينتج عن آخر، ما نحمل في أفكارنا ممكن، على الأقل أنه إحساس فوق الطبيعة» ثم أضاف قائلاً: «لذلك أن الفصل بين فكرة السبب من فكرة البداية في الوجود هي بكل بساطة ممكنة للتصور».

نظريا، يمكن أن نتصور الكرة الثانية، في لحظة التصادم تتحرك لوحدها، أي بدون إنتقال قوة من الكرة الأولى. ولكن مثل هذ التصور ليس معقولا، وبنفس الحال، نظريا، يمكن للشخص أن يتصور أن هذا الكون بدون سبب، ولكن الفكرة غير معقولة. لذلك جدل هيوم عمليا بلا مبرر، وإنه إثبات قوي فقط للجدل المسبب لوجود الله. محاولاته للتبرير هي مثال من حياة بولس الحقيقية وتحذيره: «انظروا

أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» (كولوسي ٢: ٨).

نفس المنطق الذي لايسمح برهان وجود الله بسبب عدم وجوده ممكن حمله وأيضا وإلى الأبد تمنع أي دليل عن عدم وجود الله، لأن وجوده محتمل! هذا التبرير هو مثل السير في طريق غير نافذ. الحل الوحيد هو بالعودة إلى قانون الفعل ورد الفعل. هذا القانون هو الأساس لتبرير أخلاقي، والذي يؤلف الجزءالأعظم من المعرفة البشرية، وهي مصدر لفعل البشر وسلوكهم، لهذا بعد كل ذلك يمكن للعقل المتحيز والفكري والتحليلي أن يفعل ذلك. يبقى الجدل الحقيقي لوجود الله لا يضعف.

كتب افلاطون عن أول محرك. وسطر تسعة حالات محتملة للحركة قبل الوصول للحركة العفوية، التي مدحتها كونها «عشرة آلاف مرة أكبر من الجميع.» لأن – كونك «تتحرك ذاتيا» – «يجب أن تكون أصل في الحركة».

مع ذلك «الآلاف و عشرات الآلاف من الأجسام» ربما وضعت في الحركة بعد ذلك، تمسك افلاطون بظرورة «مبدأ الحركة الذاتية» «كبداية للجميع» الحركة. أظهر أن الأرتداد اللامحدود للمحركين لايمكن منطقيا أن يستمر. (وهو عندما ننظر شخصا ما إلى الخلف من خلال سلسلة الحركة يجد في النهاية أن شيئا ما يجب أن يتحرك أولا، بدون أن يحرك من قبل شيئا آخر). كرر أرسطو نفس المنطق، مبينا أن أول محرك يجب أن يكون أزلي. «لو لم يكن هناك شيئا أزلياً، فانه لا يمكن أن يكون هناك ملائمة، لذا يجب أن يكون هناك شيئا قبل عميلة الملائمة، التي منها جاءت الأشياء إلى الوجود. وآخر عضو في هذا المسلسل يجب أن يكون غير مولود، لأن المسلسل يجب أن يبدأ بشيء ما، لأنه لا يمكن أن يأتي شيء من لا شيء.»

بعد أن كتب هيوم بغزارة عن أفكاره تلك، حيث إدعى بوجود «خالق»، يبدو أنه عكس موقفه بعد ذلك كتب قائلا:

> إذا رأينا بيتا،... نستنتج بكل تأكد، أن هناك مصمم أو بناء،... ولكن بالتأكيد لا نستطيع أن نجزم بان الكون شبيها بتلك الصورة للبيت، أو أن التناظر هنا كامل. التباين واضح جدا، لأن اكثر ما يمكنك أن تفعله هنا هو أن تتظاهر بالتخمين والحدس والفرض المسبق فيما يتعلق بمسبب مشابه.

على أي حال لقد قوم أرتداده بقوله أن الشخص لا يمكن أن يقول «أن هذا وجوده ضروري.» لو ان أعترف الشخص «بوجود كائن كافي ليخدم كمؤثر لكل التأثيرات الممكنة،» عليه فأن ذلك هو الجدل من باب الأدعاءالمسبب. الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت (١٧٢٤–١٨٠٤) وافق أن العالم قام بواسطة «مسبب له كل المقدرة» تراجع قائلاً عنه: «على أنه مسبباً كافياً وضرورياً في حد ذاته». لو ذلك المسبب الذي لديه كل الكفاءة «ليس ضروريا أن يكون» موجود بنفسه «لذا يبدو أن أستنتج من موجود آخر الذي هو» موجود بنفسه «لذا فإنه أجل اليوم الذي سيعترف به بوجود مسبب بنفسه» وأخيرا، عندما انزل رتبة ذلك الموجود إلى «رئيس نظامي» يستغرب الشخص كيف يمكن أن يوازي هذا مع «المسبب الضروري والكامل الكفاءة.»

كتب هيوم قائلاً: «نحن نقع تحت ظرف الحالة الملحة القصوى... في تفكيرنا وأعتقادنا ونناقش جميع مايتعلق بمختلف أنواع المواضيع حتى نصادق عليها بصورة مألوفة بثقة وأمان». من خلال تعين هيوم نفسة «كمشكك» قال ذلك الكائن كان «الخطوة الأولى والأكثر جوهرية تجاه كون الإيمان المسيحي» من المحزن أن مثل هذا العقل الذكي أتلف نفسه في النزاع وعندما قال: «وفي الأساس أعترف شفويا ليس بأي تصميم محدد بدقة». وبعد ضجة صاخبة من أجل شيء تافه نسبيا عاد أخيرا إلى القول أن الدين النقي «هو الرئيس، المريح العظيم في الحياة: وأن رئيسنا يدعمنا وسط جميع هجمات القدر المناوئ. الأنعكاس الأكثر قبولا والذي يمكن أن

يقترحه التصور البشري، هو تلك البديهية الأصلية.» لو أن هيوم كتب بصورة تهكمية، لكي يبقي على شكوكيته أنه لا يشير إليها.

يمكننا تصوره (كشيء من لا شيء) ليس بالمعقول. تبع إيمانويل كنت نقاش هيوم منعه «الحديث عن كائن مطلق الضرورة».

لم يتمكن كنت أن يعيش مع هذه الفكرة المضللة في مثل هذا المنطق، وبعده – بالإيمان – أشار إلى الكائن الأصلي الذي هو كامل المعرفة وكامل القدرة وكامل الجودة وأبدي وحاضر في كل مكان.

وبالمثل، يبدو أن هيوم تنكر برودته، أفكاره ذات العصبية «التي لا يمكن دحضها وغير عملية ومضللة» وأستدل دون وجود دلالة للسخرية، «للميزات الطبيعة للألوهية» وحتى عن التكلم عن «الباعث المقدس لإيماننا». أستعمل والتر كوفمان نفس السبب الصارم الذي أستخدمه مسبقا كلا من هيوم وكنت، مؤكدا بذلك على «ضرورة» ان الموصوف لا يمكن تعديل الأسم «الكائن» لأن مثل ذلك يحتاج «إلى حرف جر محضور». على أي حال، فشل والتر في الكشف أن هيوم قد أقام بعد ذلك مثل هذا الجدل (كجدل أبدي) وأن كنت أستمر بالتعرف على الله، وهذا ما رفض كوفمان أن يقوم به.

ناقش كنت أيضا «مبدأ المسببات وقال عنه أنه بلا معنى... عدى في عالم المعقول،» وهذا ما نؤمن به نحن ونفذ أسس السببية لحساب عالم المعقول. «الأستنتاج العام يقوي من ما يسمى علم الكون، بقية البرهان في الحقيقة على علم الوجود الذي يثبت بالفكرة فقط» لقد كتب لأن على الشخص أن يوفر الخبرة للبحث «بين المفاهيم النقية» التي «تحتوي على شروط الإمكانية كائن الضرورة القصوى»، ومن ثم، بعد أن حاول كنت بطريقة عملية ليعرض «العش العام» في الفرض «المختفي في البرهان الكوني» يبدو أنه غير تفكيره. حيث قال، «يبدو ممكنا أن نعترف بوجود كائن كافي بالكامل ليخدم كمسبب لكل فعل ممكن.»

الأستنتاج

الأستنتاج هو أن وجود القمر يؤشر إلى الخالق، وحركة القمر مؤشر إلى وجود من يحرك القمر. ويقول المنطق أن هذا الخالق المحرك، يجب أن يكون مستقل وأبدي.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧